جـــامعـــة الجـــزائـــر
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

الاختلاف الديني بين الإسلام والمسيحية من الصراع إلى التعايش
Religious difference between Islam and Christianity from conflict to coexistence

محمد طاهير
طالب دكتوراه ـ جامعة محمد بوضياف – المسيلة.
mohamed.tahir@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2021-05-15 **تاريخ القبول:** 2021-06-07

تاريخ النشر: 2021/06/28

ملخص:
إذا كان الأنبياء والرسل قد جاؤوا بالهداية التامة والمنهج المستقيم، ودعوا الى التعايش مع الآخر، فمن سار على نهجهم نجح وأفلح، ومن تنكب الصراط فقد خاب وخسر، والبشرية اليوم تنكبت صراطا كبيرا، وخالفت سنن الفطرة ودخلت في عالم الفتن، والصراع وانتشار العنف، وكل هذا بسبب الاختلاف في التوجهات وتعدد الاختيارات، ورفض الآخر، وخاصة الاختلاف الديني الذي يعد في نظر العديد من الفلاسفة الغربيين بأنه سبب الصراع بين العديد من الحضارات والأمم. ولعلّ من ابرز الصراعات التي شهدتها البشرية عبر العصور، نجد الصراع بين الإسلام والمسيحية. هذا الصراع الذي يعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية في القرن السابع ميلادية، وامتد إلى يومنا هذا. وإن كان الصراع قد انتهى مع أهل الشرق بعد عدة جولات، إما باعتناق الإسلام، وإما بمسالمة معتنقيه. لهذا كان الاختلاف الديني ليس سببا في الصراع، بل هو سبيلا لاستيعاب أسباب الصراع، والدعوة نحو إيجاد سبل التسامح والتعايش، ونبذ كل أشكال العنف والتعصب.
الكلمات المفتاحية: الاختلاف الديني، الاسلام، المسيحية، التعايش، التسامح.

Abstract :
If the prophets and messengers have come up with complete and straight approaches, and they have called for coexistence with each other. Those who have followed their approach have succeeded and succeeded. Those who have fallen apart have been disappointed and lost. Perhaps one of the most prominent conflicts that humanity has experienced throughout the ages is the conflict between Islam and Christianity. This struggle, which dates back to the time of the Islamic conquests of the 7th century, has extended to the present day. The conflict with the people of the East ended after several rounds, either by conversion to Islam or by peaceful adherents. That is why religious difference is not a cause of conflict, but rather a way to absorb the causes of conflict, to advocate for ways of tolerance and coexistence, and to renounce all forms of violence and intolerance.
Keywords: Religious difference, Islam, Christianity, coexistence, tolerance.

مقدمة:

من المعلوم أن ظاهرة الاختلاف والتنوع قد كانت ولا تزال إحدى سمات هذا الكون الذي نعيش فيه، فالله عزّ وجل أقّره بين الشعوب والأمم لتبادل الثقافات والمعتقدات، فهو سبيل للتعاون والتآزر. ولعلّ من أبرز أشكال الاختلاف نجد الاختلاف الديني، هذا الشكل الذي يُنظر إليه من زاويتين: أما الأولى على أنه كان سببا في الحروب والصراعات بين الحضارات والأمم، لاسيما الصراع الديني بين الإسلام والمسيحية، الذي بدوره يعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد مرورا بالحروب الصليبية، وصولا إلى الاستعمار الأوروبي المعاصر للعالم الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وأما الثانية: هو أن الاختلاف الديني اقتضى أن يكون سبيلا لاستيعاب أسباب الصراع، وسبيلا لتحقيق التعايش بين الإسلام والمسيحية؛ لأن الصراع بينهما يعود الى أبعاد سياسية وإيديولوجية، لاسيما مع عودة التوتر بينهما تحت غطاء التصفية العرقية على الدول الإسلامية، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، وما نتج عنها من عنف وإرهاب ساكن للأوطان وعابر للقارات والحدود، وما ينذر به من مخاطر جديدة تهدد الإنسانية أفرادا وجماعات، والسؤال الذي نطرحه هو: ما حقيقة ومنشأ الاختلاف بين الديانتين الإسلام والمسيحية؟ وكيف ساهم الاختلاف الديني في تحقيق التعايش والتسامح بينهما؟

أولا: مدخل مفاهيمي.

1- في مفهوم التسامح وأشكاله:

لقد وردت كلمة التسامح بعدة معاني، فمن الناحية اللغوية نجد كلمة التسامح Toleration في اللغة الانجليزية تعني التحمّل والمعاناة، كأن يتحمّل شخص ما شيئا لا يسره أو لا يرغب فيه[1]، وبالمعنى المخالف في اللغة العربية نجد كلمة التسامح اشتُقت من سَمَحَ والذي يعني العفو والصفح[2]، و في نفس السياق يشير ابن منظور في لسان العرب إلى أن التسامح هو المسامحة أو المساهلة [3]، ويقول إبراهيم مذكور في المعجم الفلسفي أن "التسامح هو سعة صدر تفسح للآخرين أن يعبروا عن آرائهم ولو لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين" [4].

كما جاء التسامح في معجم صليبا بعدة معان منها:

- احتمال المرء بلا اعتراض كل اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه.
- أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن أرائه وان كانت مضادة لآرائك.
- أن يحترم المرء أراء غيره لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة[5].

ويعرفه أيضا أندريه لالاند "André Lalande (1867-1963) في موسوعته الفلسفية" بمعنى استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وان كنا لا نشاطر رأيه"[6].

كل هذه التعاريف لا تختلف عما جاء في الدين الإسلامي، فهو بدوره دعا إلى الصلح والمغفرة والعفو عند المقدرة مصداقا لقوله تعالى:" يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّا لّكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم"[7]

---

[1] مجموعة من المؤلفين، **التسامح بين شرق وغرب**، تر: إبراهيم العريس، دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، ط02، 2016، ص ص 6-7.

[2] إبراهيم أنيس، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط04، 2004، ص447.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ج2 منشورات أدب الحوزة- قم- إيران، 1405، ص489.

[4] إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص44.

[5] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص271-272.

[6] أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، تعريب خليل أحمد خليل، ج3، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط02، 1993، ص1460.

[7] سورة التغابن، الآية 13.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** :
- http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

جـــامعـــة الجـــزائـــر
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

أما اصطلاحا فيراد بالتسامح، على أنه موقفا ايجابيا متفهما الجانب الآخر في بعده الفكري والعقائدي، بعيدا عن جو التعصب والإقصاء ومظاهر العنف، وإعلاء صوت المحبّة والمودة والتآلف[1].

وفي العصر المعاصر أخذ مفهوم التسامح بعدا جديدا بارتباطه بفكرة التعايش، خاصة بعد الإصلاحات التي جاءت بها الثورة الفرنسية 1789 وقبلها الدستور الأمريكي 1776، وذلك بتأكيد حق كل فرد بأن لا يكون هناك قيد على حريته، إذا احترم حريات وحقوق الآخرين، ولم يتجاوز عليها. لهذا أصبح ينظر إليه على أنه "القدرة على تحمل رأي الآخر، والصبر على أشياء لا يحبها الإنسان ولا يرغب فيها"[2]. أما عن أشكاله فهي متعددة ومتنوعة بتنوع المجالات، كل بخصوصيتها، وكل منها مكمل للآخر، ومن أبرز هذه النماذج نجد:

*** التسامح الثقافي والفكري Cultural and intellectual tolerance :**

للتسامح حضور واضح في المنظومة الثقافية والفكرية للمجتمع البشري، وهو حركة إزاء الآخر قائم على مبدأ الاحترام، وعدم التعصب للأفكار، واحترام أدب الحوار والتخاطب، فالاختلاف والتباين الثقافي بين المجتمعات ليس مبررا كافيا للصراع، بحكم أن الثقافة التسامحية والفكر التسامحي كفيلان بتحصين المجتمعات، مما قد يصيبها من مظاهر العنف والتعصب؛ لأن عدم التسامح في الأخير يؤدي إلى موت الفكر.

وإذا عدنا إلى تاريخ الفكر الفلسفي نجد، أن التسامح كمنتوج فكري، وأخلاقي تحددت معالمه لدى العديد من الفلاسفة خصوصا في الفكر الإسلامي، مع "ابن رشد" الذي رفع من قيمته كقيمة أخلاقية ضد التعصب والصراع إلى مرتبة العدل وضرورة احترام رأي الآخر.

وفي أواخر القرن الثامن عشر أخذ التسامح يتجاوز حدود الدين ليقترن بحرية التفكير، فدعوة "ايمانويل كانط (1724-1804) Emmanuel Kant" إلى الكونية في الأخلاق والسلام العالمي المشترك لا تختلف فيما ذهب إليه الفيلسوف الفرنسي "فرانسوا ماري آرooيه" المعروف باسم "فولتير " (1694-1778)Voltaire الذي دافع أيضا عن فكرة الكونية والعالم الإنساني الواحد، حيث أعطى للتسامح عمقا فلسفيا نقديا يتجاوز الإطار السياسي والديني إلى التنظير لواقع فلسفي كوني ثائر ضد اضطهاد الأفكار والمعتقدات، لذا يعد من بين اللذين نادوا بحرية الفكر حيث يقول في كتابه "رسالة في التسامح":" إن التسامح لم يتسبب قط في إثارة الفتن والحروب الأهلية، في حين أن عدم التسامح قد عمم المذابح على وجه الأرض...إني لا أتكلم هنا إلا عن مصلحة الأمم، ومع احترامي كما هو مفروض باللاهوت، فإني لا اشد من وراء هذه المقالة إلاّ خدمة مصالح المجتمع المادية والمعنوية..."[3].

*** التسامح السياسي political tolerance :**

الغاية والهدف من التسامح السياسي هو ضمان حقوق الناس جميعا مهما كان انتمائهم العقدي والثقافي. وهذا الشكل من مهام أي دولة في العالم، بحيث ينبغي عليها تحقيق الأمن والاستقرار، ونبذ كل معالم العنف سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وكذا التخلي عن التعصب والهيمنة على مستوى الممارسة السياسية، والإقرار بمبدأ التعددية وحرية الرأي والتعبير واحترام الآخر.

ولقد ظهر هذا النموذج في بعده السياسي، في مطلع العصر الحديث ق17 في ظل الصراعات الدينية التي شهدتها أوربا، هذه الصراعات التي قامت بين البروتستانت والكاثوليك، لما طالب هذا الأخير الكنيسة بالتوقف عن التدخل في تحديد العلاقة بين الله والإنسان، والتمسك بالسلطة الروحية فقط، وهذا ما أثار حفيظة البروتستانت، إلاّ أنها في الأخير سمحت لكل المخالفين ومنحت لهم الحرية في التعبير والمعتقد[4].

ومن الفلاسفة الذين جسدوا شعار الحرية في التعبير والمعتقد نجد فيلسوف العقد الاجتماعي الانجليزي "جون لوك (1632-1704) John Locke" الذي دعا إلى ضرورة الفصل بين الدولة والكنيسة كحل عقلاني

---

[1] ماجد الغرباوي، **التسامح ومنابع اللاتسامح**، الحضارية للطباعة والنشر، بغداد، ط01، 2006، ص21.

[2] مجموعة مؤلفين، **التسامح (المؤشرات والمفهوم)**، الشبكة العربية للتسامح، 2008، ص08.

[3] فولتير، **رسالة في التسامح**، تر هنرييت عبودي، دار بيترا للنشر والتوزيع، دمشق، ط01، 2009، ص39.

[4] محمد عبد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 1998، ص25-26.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** :
- http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

لتجاوز الخلافات الدينية، لأن مهمة الدولة في نظره هي الحفاظ على حقوق الأفراد الطبيعية، بينما الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا في روما فهي مجرد جمعية حرّة إرادية، ليس لها أن تتدخل في الإيمان وهي التي يتواجد فيها عددا من الملحدين، يمثلون خطرا على الدولة[1].

وفي العصر المعاصر، فالدعوة إلى التسامح بدأت تأخذ مجراها العالمي، بدءا من ميثاق هيئة الأمم المتحدة سنة 1945 مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، ليؤكد بعدها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، خصوصا مع صدور إعلان مبادئ التسامح في المؤتمر العالمي لليونسكو عام 1995، وإعلان عام 1996 عاما دوليا للتسامح[2].

*** التسامح الديني religious tolerance :**

وهو الذي يقوم على مبدأ قبول الآخر باختلافه وتباينه؛ أي القبول بالاختلافات الدينية على أنها طرق أخرى في فهم الله والإنسان. وهذا الشكل من التسامح تعود جذوره إلى ما قبل التاريخ الحديث، وربما ببداية الرسالات السماوية، التي مثلت الدعوة إلى التسامح البشري وان كانت بألفاظ مختلفة بين البشر، أحد مضامينها الثابتة التي توالى الرسل على دعوة البشر إليها، خاصة في إطار التعايش بين الأديان، حيث كل الديانات السماوية كانت حريصة على تمجيد حرية ممارسة الشعائر والتخلي عن التعصب الديني، ونبذ كل أشكال التمييز العنصري، والدعوة إلى الحوار باسم وحدانية الله، وقد كان الدين الإسلامي بالخصوص حريصا كل الحرص على التسامح باعتباره عنصرا جوهريا من عناصر العقيدة، وأنّ الأديان السماوية الأخرى في نظره تعدّ حلقة متصلة لرسالة واحدة جاء بها الأنبياء والرسل بوحي من عند الله .لهذا نجد الموقف الإسلامي دائما متفتحا مع الآخرين ومتسامحا إلى أبعد الحدود[3]، فهو يدعوا إلى احترام رأي الآخرين في التفكير، وحرية المعتقد مكفولة للجميع ،وكذا التعددية الدينية والثقافية .

كما عالج القرآن الكريم مسألة التسامح معالجة متأنية متطورة تبعا لتطور الدعوة الإسلامية، وارتقائها في مخاطبة عقول الناس، حيث مثّل القرآن حالة من النضج الكامل للفكر الديني في رؤيته للإنسان، وليس من وراء ذلك سوى هدف واحد وهو أن تعيش الإنسانية في أمن وسلام. وبالعودة إلى كتاب الله نجد هناك أكثر من مئة آية تدل على التسامح ونبذ العنف والكراهية وهذا ما نلتمسه في العديد من الآيات القرآنية، في قوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}[4]، وحتى الإنجيل فيه هدى ونور في قوله تعالى: {وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور}[5].

وأيضا على الصعيد الفلسفي نجد جون لوك في كتابه "رسالة التسامح" يدعوا إلى القضاء على بنية التفكير الأحادي المطلق وروح التعصب الديني المغلق، وإقامة الدين على العقل وبناء منظومة حقوق تؤسس لمفهوم التسامح، تعتمد مبدأ فصل المهام بين دور الكنيسة ودور الدولة، والإقرار على تطبيق مبدأ المساواة في الحقوق بين جميع الطوائف الدينية، حيث يقول في هذا الصدد: "إذا اضطرت الكنائس إلى أن تتخذ من التسامح أساسا لحريتها، وأن تعلم أن حرية الضمير حق طبيعي لكل إنسان يخصها كما يخص المنشقين، وأن لا إكراه في الدين سواء بالقانون أو بالقوة"[6].

2- أشكال التعايش:

إنّ العودة إلى كتابات "أرسطو" بالتحديد كتابه "السياسة" نجد انه ركز على مفهوم التعايش أو العيش معا من اجل التآلف، فهو أمر طبيعي بين البشر، الهدف منه هو العيش في سعادة. وهذا طبعا كل ما تطمح

---

[1] المرجع نفسه، ص27.

[2] مجموعة مؤلفين، **التسامح (المؤشرات والمفهوم)**، ص02.

[3] محمود حمدي زقزوق، **الإسلام وقضايا الحوار**، تر، مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2002، ص116.

[4] سورة الأعراف، الآية، 46.

[5] سورة المائدة، الآية، 46.

[6] جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبوسنة، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، ط01، 1997، ص 58.

إليه كل المجتمعات والحضارات عبر التاريخ، وبالخصوص التعايش الذي دعت إليه كل الأديان منها الديانتين المسيحية والإسلام في إطار الحوار بين الديانات من حيث آليات وسبل التعايش بينهما. والدعوة إلى العيش في وطن واحد بسلام بعيدا عن البغضاء والمعاداة وبغض النظر عن طبيعة المعتقد والطقوس الدينية والاجتماعية.

وقد وردت" كلمة التعايش في معناها اللغوي على وزن (تفاعل)، وتعني الاشتراك والألفة في الحياة[1]. أما في المعجم الوسيط فنجد مصطلح التعايش مشتق من الفعل" عاش، عيشا، وعيشة ومعاشا: أي صار ذا حياة، فهو عائش. وعايشه؛ أي عاش معه والعيش معناه الحياة وما فيها من مطعم ومشرب. وتعايشوا: أي عاشوا على الألفة والمودة"[2].

أما اصطلاحا فالتعايش يعبر عن الوجود المشترك لطرفين أو أكثر على أرض واحدة، فهو بهذا المعنى يتضمن العلاقة السلمية بالآخرين والاعتراف بأنهم موجودون. كما يوحي أيضا باعتراف كل طرف بالآخر، وحقه بالتمسك بقناعاته ومعتقداته وممارساته وشعائره الدينية، وما يقتضيه ذلك من تعاون بين الأشخاص في إطار المساواة بين الحقوق والواجبات[3]. فهو بهذا نوع من الانجذاب بين الجماعات والطوائف، بحيث يندمج كل منهما مع الآخر مخلفا أثرا بعيدا عن مظاهر التفرقة والتمييز، أو حتى المّس بالمعتقد الديني والعادات والتقاليد.

لكن مع مطلع العصر الحديث وفي ظل التطورات الاجتماعية الذي شهده العالم، ظهر مصطلح التعايش للتعبير عن الاختلاف في المذاهب العقائدية، وما يترتب عليها من سياسة مختلفة بين دول الشرق والغرب، وقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على إمكانية التعاون بين أقلية في دولة ما وبين الأكثرية، وإن كانت هذه الأقلية تختلف عن الأكثرية من حيث اللغة أو الدين[4].

ومصطلح التعايش كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، وهذا ما حدث بعد الحربين العالميتين واحتدام الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي، أين أضحى اللجوء إلى التعايش في ثوبه السلمي ضرورة حتمية، من اجل التعاون وتحقيق العيش المشترك بين الشعوب.

وبهذا فالتعايش، إذا، يعني القبول بالعيش المشترك والتنوع واحترام حق الاختلاف؛ أي ضمان وجود علاقات ايجابية مع الآخر. أو كما يرى البعض الآخر أن مصطلح العيش المشترك ظهر مؤخرا، خاصة على اثر الحرب الأهلية اللبنانية وما صاحبها من تقسيمات، لذا فالعيش المشترك يستخدم في السياق الداخلي للدولة فهو سلام بين الطوائف في الوطن الواحد وهذه الطوائف تنتمي إلى إحدى الشريعتين[5].

أما عن أشكاله فهو لا ينحصر في مجال دون آخر، بل متعدد ومتنوع، نحاول أن نذكر البعض منها:

*** التعايش الديني religious coexistence:**

هذا النموذج تعود جذوره إلى تاريخ الأديان بما فيها الدين الإسلامي، الذي كان حريصا على الدعوة إلى التعايش مع الأديان الأخرى في إطار الأمن والسلام وتفعيل سبل العلاقة بين كل الأديان وهذا ما نلتمسه في سورة الكافرون التي تعد نبراسا لتأصيل فكرة التعايش في قوله تعالى: {لكم دينكم وليَ دينِ}[6]. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان على عهد وميثاق مع طائفة اليهود، ويدعو للعيش المشترك مع ضرورة الحفاظ على المعتقد الديني.

---

1 هند عبد الله أحمد، **مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام**، في: مجلة آداب الفراهيدي ،العدد08، 2011، ص431.

2 مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، مجلد01، مجمع اللغة العربية دار الفكر، القاهرة، ط04، 2004، ص639.

3 حسن الصفار، **التنوع والتعايش**، دار الساقي، بيروت، ط01، 1999، ص94.

4 هند عبد الله أحمد، **مظاهر التعايش الاجتماعي**، ص431.

5 حسام رضوان أبو رمان، **الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان**،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط02، 2005، ص79.

6 سورة الكافرون، الآية، 06.

التعايش في الإسلام سلوك راقٍ يعبر عن معالم التحضر، لذا كان يدعوا في كل عصر إلى ضرورة التسامح والتعاون بين الأمم والشعوب، ونبذ العنف والصراع وكل أشكال التعصب الديني والتطرف[1]. وهذا ما تجلى في العصر المعاصر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أين أضحى التعايش الديني يتضمن التعاون بين شعوب العالم من اجل إرساء معالم الأخوة والعيش في امن وسلام خاصة في ظل السياسة العالمية التي انتهجتها أمريكا في إطار العولمة بكل أبعادها، والتي خلقت جوا من التباعد بين الحضارات والأديان ومنع تحقيق التعايش مع الآخر .

*** التعايش السلمي peaceful coexistence:**

لقد أصبح التعايش في مفهوم السياسة الدولية، عبارة عن تعاون بين دول العالم على أساس التفاهم وتبادل المصالح. ولعل من بين الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور هذا المصطلح (التعايش السلمي) هو ما ترتب عن الحربين العالميتين الأولى والثانية من دمار، جعل الإنسانية تعيش في جو من الهلع والخوف. مما سرع إلى تأسيس أول عصبة أو منظمة عالمية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1920م بموجب ميثاق شكّل جزء من معاهدة "فرساي" التي نظمت الأوضاع الدولية الجديدة بعد انتهاء الحرب، حيث ركزت هذه المنظمة التي تمثلها القوى العظمى على ضرورة العمل على منع الحروب واستتباب السلام والأمن وتنشيط التعاون الدولي من أجل الحفاظ على العدالة، واحترام المعاهدات بين الدول[2]، وانتهت هذه العصبة إلى هيئة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية عام 1945م بزعامة الو.م.أ والدول العظمى التي انتصرت في الحرب، هذه الهيئة التي تتكون من الجمعية العامة، ومجلس الأمن والوصاية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، مجلس الوصايا، ومحكمة العدل الدولية والأمانة العامة، وهي بدورها تهدف إلى:

- حفظ الأمن والسلم الدولي، ومنع كل أساليب القمع من خلال اللجوء إلى مبادئ القانون الدولي لحل المنازعات .
- إنماء العلاقات الدولية بين الأمم على أساس حق الشعوب في تقرير المصير.
– تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واحترام حقوق الإنسان والحريات دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، وأيضا قيام جبهة ثالثة تسمى بمجموعة دول الحياد أو حركة عدم الانحياز، حيث أكدت على ضرورة العيش في السلم بعيدا عن لغة السلاح [3]

*** التعايش الاقتصادي Economic coexistence:**

وهو الإقرار بالتواصل في المجال الاقتصادي القائم على التبادل التجاري بين الدول، منها المتطورة والضعيفة خصوصا؛ فهو التعايش المبني على التعاون من اجل رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي، والقضاء على كل أشكال الفقر والبطالة وخلق فرص العمل؛ لأنّ الرفع من البنية الاقتصادية لكل دولة يساهم في تقوية الوحدة الاجتماعية وحمايتها من مختلف المشاكل التي قد تؤدي إلى زعزعتها، لأن عامل الاستقرار ضروري بين الشعوب. وما التعايش الاقتصادي سوى عامل للتقارب ومد رابط الجسور مع الآخر بغض النظر عن الاختلاف في الثقافة أو المعتقد الديني والفكري. فالرسول (ص) لم يستخدم التجارة من اجل البيع والشراء فقط بقدر ما هي وسيلة للتعبير عن سماحة الإسلام وفضائله الأخلاقية.

*** التعايش الثقافي والحضاري Cultural and cultural coexistence:**

الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، وهي الركن الأساسي في بناء أيّ أمة أو حضارة. وقد شهدت البشرية عبر التاريخ عدة ثقافات تعبر عن خصوصية عصرها، كالثقافة المصرية القديمة والثقافة اليونانية والرومانية والهندية والإسلامية والفارسية وغيرها. فالثقافة لها دور كبير في تجسيد معالم التعايش داخل

---

[1] هند عبد الله أحمد، المرجع السابق، ص429.

[2] عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج04، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت، د ت، ص 112.

[3] عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**،ج01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت، د ت، ص 316.

جـــامعـــة الجـــزائـــر
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات وهو ما أطلق عليه حديثا بالتعايش الثقافي، هذا النوع في نظر الكثير من المفكرين، هو ضرب من التعاون المشترك الذي يقوم على أساس الثقة والاحترام المتبادلين بطواعية واختيار، والذي يهدف إلى تحقيق أهداف يتفق عليها الطرفان أو الأطراف التي ترغب في تقبل بعضها البعض. ومعنى هذا أن التعايش قائم على العيش المشترك، والقبول بالتنوع، لما يضمن وجود علاقة ايجابية مع الآخر[1]. وهذا ما أسماه المفكر الأمريكي "صامويل هنتنجتون Samuel Huntigton(1927-2008) بعالم متعدد الثقافات، لاعتباره وسيلة للحد من الصراعات الدولية، والدعوة إلى العيش وفق مبادئ مشتركة، فهو يدعوا جميع الحضارات إلى التفاهم والتعاون خاصة بين كبار السياسيين والمثقفين وإلى ضرورة الانفتاح والتجديد الثقافي[2].

ثانيا: الصراع الحضاري بين المسيحية والإسلام.

إن استقراء الواقع التاريخي، يبين لنا أنّ العلاقة بين المسلمين والمسيحيين لم تكن علاقة مبنية على التعايش والتسامح، بل كانت تصب في نطاق مغاير تماما، وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام محمد الغزالي في قوله: "أن المسلمين يقبلون بوجود أديان أخرى، ويرفضون إكراه أحد على ترك ملّته، ويرضون أن يتآلف المجتمع من مسلمين وغير المسلمين، ويشرّعون نظما عادلة لتطبّق عليهم وعلى من في ذمّتهم من مسيحيين أو يهود. بينما المسيحية تتبرم بالديانات الأخرى، وترسم سياستها الظاهرة والباطنة لإبادة خصومها أو تحقيرهم وحرمانهم حتى ترغمهم على ترك دينهم وتجرهم إلى النصرانية جرا"[3].

أما المستشرق الانجليزي ذو الأصول فرنسية "لويس برنار"Louis Bernard"(1916-2018)، أحد أبرز منظري العلاقة الصراعية بين الإسلام والغرب يرجعها إلى زمن الرسول (ص)، وبالخصوص فترة التوسع الذي شهده المسلمون، وهو زمن الفتوحات الإسلامية، أين أُجبر المسلمون على استخدام القوة بسبب تصادمهم مع القبائل النصرانية في جزيرة العرب. ولهذا بات يُنظر اليوم إلى الدين الإسلامي على انه دين كراهية وعنف موجّه إلى العالم الغربي[4]، وفي هذا الصدد يقول:" عرف الإسلام فترات نفخ فيها روح الكراهية والعنف في أتباعه، ومن سوء حضنا فإنّ جزءا من العالم الإسلامي لا يزال يرزح تحت وطأة هذا الميراث، ومن سوء حظنا أن غالبية هذه الكراهية والعنف موجّهة ضدّنا في الغرب"[5].

ويضيف أيضا بأنّ الغدر صفة متجذّرة ومتأصلة في المسلمين، كونهم لا يستندون إلى أيّ مقوم أخلاقي في علاقاتهم مع الآخر محاولا تبرير ذلك من سورة التوبة في قوله تعالى:{وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنىّ يوفكون}[6]. هذه الآية التي أخرجها برنار من سياقها دون أن يربطها بأسباب نزولها، لهدف إيديولوجي حتى يبرر ما يقوم به الغرب من حروب ضد المجتمع الإسلامي، وأنّ المسلمون يرفضون التعاقد الاجتماعي بدعوى أن دينهم يشجعهم على الغزو[7]. لكن السؤال المطروح: هل الحضارة الإسلامية كانت تسعى من وراء هذه الفتوحات إلى السيطرة والهيمنة؟ أم إلى نشر رسالة التعايش العالمية؟

لقد ارجع المفكر الأمريكي "صامويل هنتنجتون" سبب الصراع بين الحضارة المسيحية والإسلامية إلى الاختلاف الديني، وهذا ما نلتمسه في قوله:" إنّ أسباب هذا النمط من الصراع...تدفق من طبيعة الديانتين

---

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن21**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، ط02، 2015، ص24.

[2] ديبتز سنغاس، **الصدام داخل الحضارات**، تر: شوقي جلال، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2008، ص143.

[3] محمد الغزالي، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005، ص50.

[4] المبروك الشيباني المنصوري، **صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت ، ط 01، 2004، ص211.

[5] المرجع نفسه، ص214.

[6] سورة التوبة، الآية 29.

[7] برنار لويس وادوارد سعيد، **الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية**، دار الجيل، بيروت، ط01، 1994، ص10.

والحضارتين المؤسستين عليها الصراع من ناحية، نتيجة الاختلاف خاصة مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز، يربط بين الدين والسياسة ضد المفهوم الغربي الذي يفصل بين مملكة الرّب ومملكة قيصر،كما أن الصراع نابع من أوجه التشابه بينهما فكلاهما دين توحيد...وكلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية (نحن) و(هم)...كلاهما يدعي انه العقيدة الصحيحة..كلاهما دين تبشيري"[1]. في حين نجد المفكر المصري محمد خليفة حسن المختص في تاريخ الأديان يرى أن الأسباب الكامنة من وراء هذا الصراع، هي سياسية بالدرجة الأولى، بعيدا عن الصراع الديني، مرجعا ذلك إلى الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون في شبه الجزيرة العربية، وهذا ما جعل الغرب يفسرونها على أنها فتوحات توسعية وشكلا من أشكال الغزو، وليس من أجل نشر الإسلام كدين عالمي[2].

وعليه سنحاول أن اعرض ولو بشكل مختصر أهم النكسات التي ترتبت عن هذا الصراع في صيرورته التاريخية بداية من القرن 11 م إلى غاية القرن 20 م.

الحروب الصليبية Crusades

إنّ المسيحية كديانة سماوية لا تتعارض والدين الإسلامي في دعوتها إلى نشر السلام ونبذ العنف، إلاّ أنّ التغيرات التي طرأت عليها من جراء التصدعات الدينية أدى إلى صدام داخلي، والذي انتهى بعصمة البابا شأنه في ذلك شأن المسيح، وهذا ما سمح للبابا من إدخال تعديلات على الكتاب المقدس خدمة لأهدافهم، ثمّ الإقرار بالدعوة إلى قيام حرب مع المسلمين، والتي أطلق عليها باسم الحروب الصليبية، هذه الحروب التي اشتق اسمها من الصليب[3]، وهي عبارة عن ثماني حملات عسكرية شنّتها الممالك المسيحية، على الشرق الإسلامي الممتدة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر للميلاد.

هذه الحروب التي اختلف الباحثون فيها حول أسبابها، تباينت من اقتصادية إلى سياسية، غير أنّ البعض يرجعها إلى أسباب دينية، نظرا لشعور الغرب المسيحي بأهمية الدين الإسلامي وخطره عليهم، فأعلنوها حربا مقدسة، وهي حروب موجهة من الله لحماية الدين المسيحي ودرء خطر الزحف الإسلامي عنها، والذي وصل إلى جنوب فرنسا وحوصرت الدول الأوربية المسيحية وأصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية [4].

هذه الحروب انتهت بسلسلة من المذابح والتي راحت ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين، وتمخضت عنه إمارات صليبية في بلاد الشام، ومصر وشمال افريقيا، ومن أبرز هذه المذابح:

1- مذابح أنطاكية: التي امتازت بالهمجية والوحشية، حيث ذُبح الأطفال والنساء، ولم يتركوا أي تركي على قيد الحياة، حيث يصف بعض المؤرخين أن الشوارع افترشت بالجثث في كل مكان، وكذا انتشار الروائح الكريهة من الدماء واللحم المتفسخ.

2- مذابح مدينة القدس: التي تعتبر من أبشع الجرائم التي شهدها تاريخ البشرية من وحشية، أين ذُبح ما يقارب السبعين ألفا، بل الأكثر من هذا عقدوا مؤتمرات تدعوا إلى إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود[5]، ومن هنا كانت هذه الحروب الصليبية تشكل الذروة في مسعى الغرب للحد من عالمية الإسلام وانتشاره، وكذا من بين الأسباب الرئيسية التي دفعت المسلمين لتغيير علاقاتهم مع المسيحيين، باعتبارهم شعب متعطش للدماء، وحب السيطرة وليس الدفاع عن عقيدتهم. وأن هذا الصراع في نظر الكثير من المفكرين يعود بالدرجة الأولى إلى البعد المادي والمتمثل في استرجاع الأراضي التي حكمتها المسيحية قبل مجيء الإسلام.

---

[1] صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)**، تر، طلعت الشايب، تقديم، صلاح قلنصوة، القاهرة، ط01، 1999، ص ص 340-341.

[2] محمد حسن خليفة، **المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر**، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2003، ص ص 21-22.

[3] زيدان عبد الفتاح قعدان، **آفاق الحوار الإسلامي المسيحي**، دار البشير، عمان، 2005، ص90.

[4] مصطفى حلمي، **حضارة العصر**، دار الدعوة، الإسكندرية، ط01، 2001، ص64.

[5] بسام داوود عجك، مرجع سابق، ص ص 63-64-65.

2- مأساة الأندلس:

استطاع المسيحيون من إعادة فتح اسبانيا(فتح الأندلس) حيث أصروا على إنهاء الوجود الإسلامي في اسبانيا، بانتهاج سياسات جديدة متمثلة في إنشاء محاكم التفتيش، أو ما يسمى بديوان التحقيق، ففي 1123 م أنشأ البابا "جرجوري التاسع"، في عهد لويس التاسع ملك فرنسا أولى هذه المحاكم. وفي اسبانيا أنشأت الملكة إيزابيلا وزوجها في "قشتالة" سنة 1473، هذه المحاكم ومن قراراتها، قطع رؤوس من لم يتنصر من العرب المسلمين رجالا ونساء شيوخا وأطفالا.

وفي سنة 1425 صدر مرسوم ملكي يأمر المسلمين بضرورة وضع شارة زرقاء على قبعاتهم، وأن يسلموا أسلحتهم، ولا يقيمون شعائرهم، وأن تكون عقوبة المخالفين، الرّق مدى الحياة وغيرها من الجرائم المرتكبة في حق المسلمين، مثل منعهم الحديث باللغة العربية أمام المجمعات المسيحية، وحرق المكتبات ومعظم الكتب التي خلفها الفلاسفة والفقهاء خاصة في غرناطة، الهدف من ذلك هو محو كل الآثار الإسلامية الثقافية منها والفكرية[1] .

3- سقوط الإمبراطورية العثمانية.

هذه الإمبراطورية التي اعتبرها البعض خلافة إسلامية امتد عمرها من القرن12م إلى مطلع القرن 20، وتوسعت عمليا عبر مراحل متباينة، من جبل طارق إلى بلاد البلقان وصولا إلى فيينا وجنوبا إلى اليمن وبعض أجزاء من دول الخليج العربي. وكانت بذلك آخر الإمبراطوريات الإسلامية التي أصابها الوهن تدريجيا، وأخذت في الانصهار حتى أصبحت معظم الدول التي كانت تحت حمايتها في يد الأوربيين. لترفع لواء الاحتلال والغزو من جديد، خاصة التنافس بين فرنسا وبريطانيا من اجل تقسيم التركة التي خلفتها هذه الإمبراطورية بالخصوص في البلدان العربية، كالجزائر ومصر والسودان. وفصل لبنان عن سوريا، وفصل الأردن عن فلسطين، وعزل كل من تركيا وإيران وأفغانستان كلا عن حدة [2].

4- الحركات الاستعمارية المعاصرة .

ما إن جاء المسلمون ليتنفسوا الصعداء، جراء الحروب السابقة حتى جاءهم الاستعمار الأوربي في صورته الجديدة، الذي استعمل مختلف الوسائل والأسلحة الفتاكة في سبيل تحقيق أهداف ومصالح، وذلك بناء على مجموعة من المصوغات أو المبررات أبرزها: انتشار العنصرية التي فرضها الجنس الأبيض، بحكم أنّه من أرقى الأجناس وله الحق في قيادة كل الشعوب نحو طريق الحضارة. وأيضا من بين هذه المبررات انتشار ظاهرة التبشير، حيث يعتقد الغرب المسيحي بأن المسيحية أفضل ديانة وأنّ الديانات الأخرى باطلة بما فيه الدين الإسلامي، والهدف من وراء ذلك هو زعزعة المجتمع العربي، والقضاء على لغته وطمس هويته[3]، وكذا البحث عن أسواق جديدة من أجل تطوير إستراتيجيته الاقتصادية ونهب الثروات الطبيعية.

وآخر هذه الصراعات توجت بقيام دولة إسرائيل، بعد وعد بلفور سنة 1948 م، هذه الدولة التي وُجدت في منطقة حساسة، وهي فلسطين مهد الديانات وقلب العالم العربي والإسلامي، التي تعد معلما من المعالم الحضارية ذات بعد قدسي. هذه الدولة التي لا تزال تنال كل الدعم من كل قادة الدول الغربية، بل والأكثر من هذا احتفال الغرب بعد مرور500 سنة من سقوط الأندلس بإقامة دورة أولمبية في برشلونة عام 1992 بالمكان الذي تم فيه استئصال الإسلام، ليبدؤوا في نفس السنة الصراع من جديد وهي "حرب البوسنة

---

[1] محمد إبراهيم مبروك، **الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط01، 2001، ص14.

[2] منير شفيق، **الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر**، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1991، ص ص 76-77.

[3] جعفر شيخ إدريس، **صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي**، مركز البحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 2012 ، ص ص 65-67.

والهرسك "بغرب أوربا لاستكمال مشروع الاستئصال[1]. دون أن ننسى السياسة الجديدة التي انتهجها الغرب في السيطرة على معظم الدول العربية من خلال التدخل المباشر في شؤونها، مثلما حدث في 2003على العراق، والتدخل في شؤون ليبيا في إسقاط نظام الحكم سنة2011 م، والتدخل العسكري الروسي والأمريكي على سوريا عام2015 م. كل هذه الويلات مستمرة تحت ظل الحروب الصليبية المعاصرة والتي صرح بها بوش الأب في غزوه للعراق.

وبهذا تكون الحضارة الإسلامية قد انهارت في بعدها المادي والمعنوي، وأصبحت خاضعة للهيمنة الغربية سواء في مناهجها السياسية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية...الخ. فأي صراع تبقى إذا بين الحضارتين؟

مما لاشك فيه أن الحضارة الغربية تسعى من وراء هذا الصراع المفبرك في بعده الإيديولوجي والتاريخي، إلى تحقيق البعد الانتقامي الذي لا يكاد ينتهي بسبب السيادة والعظمة التي كانت تمارسها الحضارة الإسلامية طيلة قرون طويلة، هذا من جهة ومن جهة أخرى، تخوفهم من عودتها من جديد؛ لأنّ قوة الحضارة الإسلامية في نظرهم تقوى من خلال ضعفها[2]. لهذا تنبأ المفكر الأمريكي "صامويل هنتنغتون" بأن الإسلام سيكون له الانتصار والسيادة في المدى البعيد، على غيره من الأديان، وذلك لعدة أسباب أبرزها:

-النمو الديمغرافي المتزايد في مقابل الحد من ظاهرة النسل في العالم الغربي.

–الصحوة الإسلامية التي أضحت تمس كل الجوانب، منها الاقتصادية والسياسية والثقافية، وخصوصا احتكارها للسوق العالمية نظرا لما تتمتع به من ثروة نفطية[3] .

هذا التحدي الذي من شأنه أن يهدد استقرار السياسة العالمية، ويعزز الصراع بين الغرب والإسلام، إلى جانب إصرار الغرب على تعميم قيمه للحفاظ على تفوقه، ولعله في ذلك كان يفترض أن الشرق غير مؤهل انطولوجيا للوقوف ضده، وبهذا يصل "هنتنغتون" إلى فكرة مفادها استحالة التعايش بين الأقليات من الطرفين[4].

ثالثا: بزوغ فكرة التسامح والتعايش بين الديانتين(المسيحية والإسلام).

انتهينا في العنصر السابق إلى إبراز طبيعة الصراع القائم بين الحضارتين أو بالأحرى بين الديانتين، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من وجود سبل التسامح والتعايش بينهما، بحكم أن الديانتين كانتا حريصتين على عدم اللجوء إلى العنف واستعمال القوة بقدر ما دعتا إلى العيش المشترك وتوفير الأمن والطمأنينة للناس جمعاء، واحترام الحقوق والحكم بالعدل، وضرورة احترام المعتقد الديني، حتى يتسنى للبشرية تأدية رسالتهم الأخلاقية. فالمسيحية كما يتصورها المسلمون ديانة توحيد حمل لوائها النبي عيسى عليه السلام، وكانت ديانة ينظر إليها من زاويتين: الأولى كونها تدعوا إلى فكرة التثليث التي تقوم على حلول الألوهية في البشر، وأن المسيحية جزء من الإسلام، وأن عيسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين، إخوة كرام جاؤوا لتعليم الناس كيف يعبدون ربهم ويتهيئون للقائه. أما الثانية فهو تعصبي وذلك لمّا تحولت إلى صليبية محاولة فرض سلطانها ومطاردة كل العقائد الأخرى، بالخصوص الدين الإسلامي[5] .

ومن تعاليم المسيحية أنّها دعت الى المحبة مع الآخر، ونبذ كل أشكال العنف والقوة، وهذا ما تجسّد عند النبي عيسى عليه السلام الذي تخطى الحواجز الاجتماعية والسياسية والدينية، ودعا إلى ضرورة احترام باقي الديانات الأخرى سواء الربانية أو الوضعية[6]. كما دعت المسيحية أيضا إلى مراعاة القيم الإنسانية

---

[1] محمد عمارة، **بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية**، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2009، ص22.

[2] جعفر شيخ ادريس، المرجع السابق، ص46.

[3] صامويل هنتنغتون، **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ص221

[4] المرجع نفسه، ص374.

[5] أنور الجندي، **معالم التاريخ الإسلامي المعاصر**، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1981، ص201.

[6] وليم الشريف، **المسيحية الإسلام والنقد العلماني**، دار الطليعة، بيروت، ط01، 2000، ص106.

الرفيعة، والعيش في نطاق السلم والصفح عن الناس من أجل أن يسود السلام في الأرض؛ وهذا ما تجلى في أنجيل متى:" وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم، باركوا لأعينكم، أحسنوا إلى مبغضكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" الإصحاح الخامس آية44. ونجد أيضا في آيات الكتاب المقدس: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض والسلام وللناس المسرة[1] .

نفهم من هذا أن المسيحية تقر أن الإنسان يميل إلى التسامح، الذي يحمل معالم الحب الإلهي، هذا الحب الذي يتجلى في شخصية المسيح، معتبرين أن روح الله مبثوث في ثنايا الخليقة كلها، وأنّ هذه الروح تعمل في قلب كل إنسان وتدفعه دوما للتحاور مع الآخرين[2]. فهذه الرؤية منصفة لإتباع باقي الديانات التي من شأنها أن تسهم في بناء حوار جاد ورصين، وموقع الآخر بالنسبة للانتماء الذاتي ضرورة وواجب في الحوار الديني.

وإذا ما جئنا إلى الدين الإسلامي فقد حمل لوائه نبي أمي مؤمن بربانية الخالق ونبي العالمية جمعاء محمد (ص)، هذا الدين كرسالة أخلاقية يدعوا إلى تحقيق الاستقامة، واحترام جميع الشعائر، والبحث عن سبل التعايش وحسن الجوار، وتغليب جانب التسامح مع الآخرين، على الرغم من اختلاف ملّتهم ودينهم سواء كان مؤمنا أو كافرا، ويجعل الله الاختلاف بين الأديان له وحده[3]، لقوله تعالى: {إنّ الذين أمنوا والذّين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، إنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة، إنّ الله على كل شيء شهيد}[4]. أو في قوله: {ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من عند ما تبين لهم الحق، فأعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره .إن الله على كل شيء قدير}[5]. معنى هذا أنّ الدين الإسلامي يعلم المؤمنين كيفية مواجهة تلك الأعمال باللجوء إلى المغفرة والتسامح، ثم الصفح والنسيان، أو تحت شعار العفو هو التسامح والصفح هو النسيان.

فالتسامح هو القاعدة الأساسية التي بني عليها الإسلام سواء في التعامل مع المسلمين أو مع باقي الأجناس الأخرى. وقد كان موقفه من التعايش والتسامح من أكثر المواقف تميزا ورزانة من الديانات السماوية الأخرى، وما حملته من تناقضات خاصة منها المسيحية. فهو يتصف بالتلقائية والقبول الفوري، والحياد والموضوعية التّامة في طلب الحق، إلى حد يمكن وصفه بأنه دين الحوار والسلام. لهذا فمن مبادئه كما سبق وأن أشرنا التسامح مع الآخرين واتخاذه وسيلة للحوار والجدال مع أهل الأديان الأخرى والبحث عن أسس الوفاق بين الأطراف المتحاورة، وبه يعيش المجتمع في جو من الأخوة والعدالة[6].

وقد قال في هذا الصدد المستشرق المزدوج الجنسية السويسري الألماني "آدم ميتز" (1917-1869): "إنّ تسامح المسلمين مع اليهود والنصارى- وهو التسامح الذي لم يُسمع بمثله في العصور الوسطى- كان سببا في نشأة علم لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى في الغرب. وهو علم مقارنة الأديان أو مقارنة الملل[...] وأن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوروبا التي كانت كلها مسيحية في العصور الوسطى، وهو وجود عدد كبير من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين[...] يتمتعون بنوع من التسامح لم يكن معروفا في أوربا[...] ومظهر هذا التسامح هو نشوء علم مقارنة الأديان"[7]. وأيضا التصريح الذي صدر عن المؤرخة البريطانية" كيرن ارمسترونج "، حيث قالت عن الدين الإسلامي" بأنه من أكثر الديانات تسامحا وسلاما، والقول بأن الدين الإسلامي بالتحديد القرآن قد انتشر بحدّ السيف، فهي من الأفكار الخاطئة التي توارثها الغربيون [8].

---

[1] عبد الحليم أيت أمجوض ، مرجع سابق، ص ص391-392.

[2] أحميدة النيفر، موريس بورمانس، **مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي**، دار الفكر، دمشق ط01، 2005، ص127.

[3] حنفي المحلاوي ، **ملامح التسامح والعنف والإرهاب في الأديان السماوية**، عالم الكتب القاهرة، ط01، 2003، ص20.

[4] سورة الحج، الآية 17.

[5] سورة البقرة، الآيات 109 -110.

[6] حنفي المحلاوي، مرجع سابق، ص23

[7] محمد عبد الله الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 349.

[8] جعفر شيخ إدريس، مرجع سابق، ص87

وبالعودة إلى تاريخ العلاقة بين المسيحية والإسلام نجد ابرز الحوادث التي كانت مؤشرا على حسن التعايش بينهما، وهذه الحوادث حققت وصية الرسول(ص) الذي دعا إلى ضرورة الحفاظ على العهد، والدعوة إلى التعايش والسلام، ومن بين هذه النماذج نجد :

1- في زمن الرسول (ص) والصحابة:

من أبرز سبل التعايش والتسامح بين المسلمين والمسيحيين بداية من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، لما قدم وفد نجران في السنة العاشرة ه، ودخلوا مسجد الرسول (ص) وقد حان وقت صلاتهم تركهم الرسول يؤدّونها داخل المسجد على الرغم من إصرار الصحابة على منعهم. فهذا مؤشر على أن الدين الإسلامي منح الحرية الدينية لغير المسلمين وتأدية شعائرهم[1]. كما نجد الرسول (ص) كان حريصا على الوفاء بالعهود والاتفاقيات، وهذا ما نلتمسه في أول وثيقة مع نصارى نجران، حيث تضمنت، حماية الرسول(ص) لأموالهم وأنفسهم ودينهم وعشيرتهم وكنائسهم. فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. وبهذا يكون الرسول قد حقق معالم التسامح الديني وبعده الإنساني، بغض النظر عن الاختلاف الديني والثقافي والعرقي. وقد سار على نهجه خلفاؤه من بعده، وهذا ما نلتمسه عند عمر بن الخطاب، لمّا دخل بيت المقدس فاتحا، أجاب سكانها المسيحيين على ما اشترطوه، بأن لا يسكنهم يهودي، وأيضا أبى عمر أن يصلي في كنيستهم، كيلا يتخذها المسلمون من بعده ذريعة للمطالبة بها، واتخذاها مسجدا لهم [2].

2 - العصر الأموي:

من أروع مظاهر التسامح والتعايش بين المسيحيين والمسلمين عبر التاريخ، هو العصر الأموي وهذا بشهادة المؤرخ والفيلسوف الأمريكي" ول وايرل ديورانت Will Durant (1885-1981" وذلك في كتابه" قصة الحضارة"، حيث يقول:" لقد كان أهل الذّمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية، بدرجة من التسامح لا نجد لها نظير، في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحرار في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يُفرض عليهم أكثر من ارتداء زيي ذي لون خاص. وأداء الجزية عن كل شخص تختلف باختلاف دخله،[...] ولم تكن هذه الضريبة تُفرض إلاّ على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح. ويعفى منها الرهبان، والنساء والذكور الذين هم دون بلوغ والأرقاء والشيوخ والعجزة، وذو العمي الشديد والفقير"[3].

كما يضيف في هذا الشأن أن السياسة الراشدة التي انتهجها الدين الإسلامي في ظل التسامح الديني، قد منح الفرصة للكثير من الدخول في الإسلام ،إلى جانب المسيحيين والزاردشتيون نجد اليهود، خاصة في مصر وشمال إفريقيا، متخذين من اللغة العربية لسانا لهم ولبسوا الثياب العربية [4].

3 – تجربة القدس:

إنّ العودة إلى التاريخ القديم لمدينة القدس، نجد أنّ لها مكانة كبيرة في بعدها الحضاري، بالخصوص على الصعيد العلمي والديني والفكري، فقد تعاقبت عليها معظم الحضارات. هذه المدينة التي كانت عرضة للاحتلال بداية من فترة الحكم الفارسي والإسكندر المقدوني، الذي حررها من أيدي الفارسيين سنة 332ق.م ثم توالت فترة الرومان سنة 62ق.م، وانتهت بانهزام الروم على أيدي المسلمين وذلك في معركة" اليرموك"سنة 636م، أين طلب "أبو عبيدة الجراح " من الخليفة "عمر بن الخطاب" أن يزور

---

[1] هند عبد الله أحمد، **مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام**، ص446.

[2] عبد الله عبد المنعم العسيلي، **التعددية والتعايش الثقافي في ضوء الشريعة الإسلامية**. بحث صادر عن جامعة الخليل ، فلسطين، 2012، ص ص159-160.

[3] ول وايرل ديورانت، **قصة الحضارة**، ج13، ترجمة؛ محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ص 130-131.

[4] المصدر نفسه، ص133.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : - http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

القدس ولما حلّ فيها عمر جسّد كل معالم التعايش بين المسلمين والمسيحيين، حيث منح المسيحيين الأمان وتعهد لهم أن تصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم[1].

وفي عام 1187م وفي ظل الفتوحات الإسلامية قام" صلاح الدين الأيوبي" بإعادة فتح القدس وتحريرها من أيدي الصليبيين. هذا الشخص الذي ضرب به المثل، في تجسّيد معالم التسامح والتعايش مع المسيحيين لما دخل اليها فاتحا، هذه المدينة التي كان يقطن فيها أكثر من 800 ألف نصراني، قد منحهم الأمان والطمأنينة لمدة 40 يوما للجلاء عن القدس، فجلا منها84الف التحقوا بأهاليهم، وافتدى البعض الآخر بأنفسهم، ومنح الفقراء بما يكفيهم من المئونة في طريق عودتهم إلى بلادهم، دون المّس بأماكنهم المقدسة بسوء[2] .

أما في عصرنا المعاصر وبعد نكسة 1948 وإعلان هيئة الأمم المتحدة القيام الفعلي لدولة إسرائيل في فلسطين، إلا والمسيحيون في تضامنهم مع الشعب الفلسطيني في جو من التآخي والمحبة، وقد شاركوهم في محنتهم وآلامهم، ولعلّ هذا ما تجلى في الانتفاضة الشعبية سنة 1987م، التي تعّد نموذجا يعكس كل معالم العطاء والتضحية لما قدموه للمناضلين وللمقاتلين من مساعدات مادية ومعنوية، معتبرين هذه التضحية واجبا وطنيا وقوميا، وأن القضية الفلسطينية قبل أن تكون قضية عالمية هي قضيتهم بحكم أنهم أبناء الديانتين، شركاء في الدم والمصير. بل والأبعد من هذا أن التعايش بينهما امتدا إلى تأسيس الجمعيات أبرزها الجبهة الإسلامية للدفاع عن القدس والمقدسات سنة2007م، وتأسيس مجلس رؤساء للهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس الغاية منها، التصدي المشترك للعدو الصهيوني، وكذا حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية، وتفعيل العلاقات الإسلامية المسيحية في إطار عمل مشترك وهو حماية القدس[3] .

4- تجربة الأندلس:

لقد شهدت الأندلس أكبر تجربة إنسانية في تاريخ العلاقة بين المسيحيين والمسلمين، في بعدها الحضاري، أين كرست مبادئ الحوار الفعلية القائمة على سبل التعايش والتسامح على الرغم من التعدد الديني والتنوع الثقافي والعرقي، إلاّ أنها استطاعت أن تؤسّس نموذجا متقدما وراقيا في التعايش والتسامح مع الآخر، لازال ملهما اليوم أثناء حديثهم عن العلاقة مع الغير.

فبعد فتح المسلمين للأندلس كان معظم سكانها متعلقين بالمسيحية، والبعض الآخر باليهودية، فمنهم من دخل في الإسلام ومنهم من بقي على دينه. كون أن الدين الإسلامي منح لهم حرية المعتقد، والحفاظ على حقوقهم الدينية، كالإبقاء على الكنائس، واحترام عاداتهم وتقاليدهم، وكذا الاحتفال بعيد المسيح، واعترف بحقوقهم الاجتماعية داخل الدولة الإسلامية، وأيضا في مساعدة المرضى والعجزة والفقراء باللجوء إلى بيت المال أو صندوق الزكاة [4] .

ولعل قمّة التسامح والتعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، تجلّت على الصعيد السياسي الذي تمتع به المعاهدون من النصارى واليهود في مختلف أنحاء الأندلس، من خلال توليهم لمناصب سياسية رفيعة المستوى، ففي مملكة غرناطة تولى" أبو إبراهيم إسماعيل بن النغريلة" اليهودي منصب كتابة الرسائل وإدارة الشؤون المالية في عهد"بادس بن حبوس" في القرن 5ه، وفي مملكة "سرقسطة" تولى "أبو عامر بن عبد شلب" النصراني الوزارة "للمقتدر بن هود" وغيرهم. أما على الصعيد الثقافي فقد أخذ المعاهدون من اليهود والنصارى الكثير من العادات والتقاليد الإسلامية، حيث يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها في وثائقهم، ونفس الشيء عند العرب المسلمين، حيث استعملوا بعض المفردات اللغوية

---

[1] أبو الحاج ثابت، **العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين**، مدينة القدس نموذجا، في: مجلة الجنان، العدد 07، بيروت، 2015، ص47.

[2] محمود حمدي زقزوق، **الإسلام وقضايا الحوار**، ص89.

[3] أبو الحاج ثابت، مرجع سابق، ص ص 54-56.

[4] أمحمد جبرون، **تجربة الحوار الثقافي مع الغرب**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط01، 2014، ص ص121-122.

بالرومانية واللاتينية وعباراتها في مناسبات عديدة. وقد بلغ هذا الاحتكاك الثقافي إلى تبني النصارى بعض أوزان الشعر العربي[1] .

5- تجربة لبنان:

تعد لبنان من بين البلدان العربية التي زارها النبي عيسى عليه السلام، حيث دعاها إلى التخلي عن عبادة الأوثان إلى عبادة الإله الواحد، وهذا مؤشر على أن معظم مناطق لبنان اعتنقت المسيحية. لكن بعد الفتوحات الإسلامية ودخول "خالد بن الوليد" في موقعة "اليرموك" وانهزام الجيش البيزنطي وتحرير سوريا التي كانت تظم كل من لبنان وفلسطين[2]، في هذه الفترة عاشت لبنان ابرز تجربة إنسانية في التعايش بين المسلمين والمسيحيين، أين جسّد المسلمون سبل التعايش الحقيقي، حيث عاشوا معهم حياة طبيعية حافلة بالمحبة والاحترام والتعاون، وممارسة كل نشاطاتهم اليومية بشكل عادي، فهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي. كما ضمن لهم الدين الإسلامي حرية المعتقد، ومنح لهم نفس الحقوق التي يتمتع بها المسلمون[3]. وقد بقيت معالم هذا التعايش والإخاء إلى يومنا هذا بالرغم من الخصوصية التي يتمتع بها المجتمع اللبناني من تنوع طائفي وتعدد مذهبي وحتى الفكري، الذي ولّد بعض الاختلالات بين الفئتين، دون أن ننسى الآثار السلبية التي ترتبت عن الحرب الأهلية المتعددة الأوجه بين فترة 1975م وامتدت إلى غاية 1990م هذه الحرب التي قامت بين المسيحيين من جهة والفلسطينيين والحركة الوطنية من جهة أخرى، والسبب لا يعود إلى الجانب الديني بقدر ما هو سبب سياسي، وكان الهدف منه تغيير الواقع الديمغرافي، كون المسلمون استغلوا تراجع معتنقي المسيحية مطالبين بالمشاركة السياسية في الحكم بأكبر نسبة، لكن انتهت الحرب بين الطرفين من خلال تقسيم الحكم بالمناصفة وعادت المياه إلى مجراها الطبيعي إلى يومنا هذا[4].

إنّ هذه النماذج لا تزال آثارها قائمة، كونها استطاعت أن تبيّن للعالمية، سبل التعايش والتسامح في إطار الوحدة بين المسلمين والمسيحيين، رغم الاختلاف الديني والثقافي، وأن الصراع اليوم بين هاتين الديانتين، لا يمت بأيّ صلة لهذا الاختلاف بقدر ما هو صراع إيديولوجي مفتعل. وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل التالي :هل استطاعت المسيحية في بعدها العملي أن تحافظ على هذه العلاقة؟

إنّ العلاقة بين الإسلام والمسيحية كديانتين مبنية على النيّة والتصديق، وتصحيح لما طرأ عليها من بدع، لكن في المقابل نجد أن هذه العلاقة اليوم خاصة في ظلّ الصراعات التي يعيش فيها العالم العربي الإسلامي وأهم المشكلات الداخلية التي يتخبط فيها، كانت من جراء التعصب المسيحي، ومحاولة القضاء على جذور التيار الإسلامي، لأنّه يعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بحد سيفه يريد فرض الإسلام العالمي وهذا مخالفا تماما لما دعا إليه الله عز وجل في قوله: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين}[5].

خاتمة:

بناءً على ما تقدّم يمكن القول بأنّ الاختلاف الديني بين المسيحية والإسلام ليس سببا في توليد الصراع، وذلك بحكم انتمائهما لنفس المشترك الديني، وهي الديانة الإبراهيمية، لأنّ كلاهما دعا إلى نبذ العنف والعيش معا في سلام، وأنّ هذا الصراع وليد ظروف وحتميات ذات بعد إيديولوجي من ورائها فرض الهيمنة والسيطرة، وإعلاء فكرة الانتقام، وغياب طاولة الحوار الحقيقي. هذا الحوار في بعده الديني يعدّ لغة حضارية، وأسلوب انجح لحل كل المشكلات وتفادي الكثير من الأزمات والحروب، وفتح السبل نحو

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 127-128.

[2] عبد الحليم آيت امجوض، مرجع سابق، ص626.

[3] محمد حسين فضل الله، **في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي**، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط03، 2005، ص 73.

[4] عبد الحليم آيت امجوض، مرجع سابق، ص628.

[5] سورة هود، الآية 118.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** :
- http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

جـــامعـــة الجــزائـــر
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

التعاون المشترك، خاصة في ظل العولمة الثقافية وتحدياتها وما تحمله من ثقافة تسويقية، تذوب فيه كل الخصوصيات الثقافية وانحلال القيم الأخلاقية والروحية.

ولتجاوز الصراع مستقبلا ينبغي على كل شعوب العالم - بغض النظر عن المعتقد الديني أو العرقي واللغوي- الوعي تمام الوعي بثقافة التسامح والتعايش، كقيّم روحية أخلاقية متعالية تفرض سلطتها على رؤسائها وممالكها على ضرورة التحلي بها، باسم المشترك الديني، الذي يرفض كل مظاهر الاستكبار والعنف والهيمنة والعنصرية، وأنّ التطور هو تطور في القيم الأخلاقية كنموذج للرقي الإنساني والحضاري، وليس التطور من أجل مخالفة قواعد الدين.

هذا، وينبغي ضرورة إعادة النظر في بعض القضايا الجوهرية، كقضايا عالمية مع إيجاد حلول لها؛ لأنّها من تولد الصراع من جديد، وهو حال القضية الفلسطينية، التي لا تزال إلى يومنا هذا بؤرة الصراع في الشرق الأوسط، فمنح الاستقلال الذاتي لها قد يؤدي إلى وضع حد للتجاوزات الصهيونية من خلال خرقها لبنود هيئة الأمم المتحدة، وتعديها على الهيئة العالمية لحقوق الإنسان. دون أن ننسى ضرورة تغيير النظرة السلبية اتجاه الدين الإسلامي على أنه دين ينتج الحركات الإرهابية والطوائف الدينية.

فحاجتنا اليوم إلى التسامح والتعايش، أضحى مطلبا ضروريا، من أجل تصحيح مسار التقدم البشري، ووضعه على مبادئ روحية ومادية صحيحة، ووضع حد لكل الصراعات والتجاوزات والسعي لاسترجاع ضمير الإنسانية.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** :
- http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283